

نافذة على مدينة القيروان.. تونس

راغب السرجاني

بسم الله والحمد لله والصلة والسلام على رسول الله. النهاردة بنفتح نافذة من النوافذ العظيمة في الحضارة الإسلامية. وهي نافذة على مدينة انشأها المسلمون وهذه المدينة تعتبر من اعظم المدن في تاريخ الاسلام حقيقة وما زال لها اثر كبير حتى زماننا الان. هذه المدينة الاولى - 00:00:00

التي اسسها المسلمون في شمال افريقيا وهي مدينة القيروان بتونس. المسلمين اسسوا عدة مدن يعني في العالم وعدة مدن في تونس تحديدا اشهرهم القيروان واولهم. وبعد كده اسسوا تونس مدينة تونس نفسها العاصمة واسسوا مدينة المهدية - 00:00:20 لهم اثار كبيرة جدا معروفة في العالم بشكل عام. مدينة القيروان لها اثر على البلاد اللي موجودة في شمال افريقيا كلها لها وفي غرب افريقيا مش بس على تونس يعني لها اثر على ليبيها على تونس على الجزائر على المغرب على موريتانيا على السنغال على مالي على كل - 00:00:40

المنطقة الا ان هي طبعا تعتبر النواة الاولى للإسلام في هذه المناطق الشاسعة. اسس هزه المدينة اه الصحابي عقبة ابن نافع الفهري رضي الله عنه.انا بقول الصحابي مع ان احنا ما عندناش - 00:01:00

دليل مباشر ان هو قابل الرسول عليه الصلة والسلام او اتكلم معه. لكن هو ولد في العام الاول قبل الهجرة. يعني قبل هجرة الرسول اصلا بسنة فمعنى كده انه في فتح مكة كان عنده تسع سنين في التسع سنين من المؤكد هو اصلا عايش في مكة يعني صعب انه يكون ما قابلش الرسول - 00:01:15

صلى الله عليه وسلم وبالتالي هو محسوب من الصحابة بيكولوا الصحابي بالمولد يعني عشان هو كان موجود في وقت فتح مكة فعلى الاغلب هو صحابي وهو من يعني المجاهدين الكبار مشهور جدا في التاريخ له اثار وايادي بيضاء كثيرة جدا على الاسلام والمسلمين - 00:01:35

وهو كان آخو عمرو بن العاص لامه او ابن خالته يعني له في قربة لعمرو ابن العاص من ناحية الام عمرو بن العاص كان ولاد لما بدأت الدولة الاموية سنة واحد واربعين من الهجرة وكان عمرو بن العاص هو والي مصر كان ولاد ولاد افريقيا ولما نقول ولادة افريقيا - 00:01:55

افريقيا بنقصد ولادة شمال افريقيا اللي هي يعني بداية من تونس وانت متوجه ناحية المغرب. فولاد هزه المناطق في سنة اثنين واربعين من الهجرة وحقق فتوحات كبيرة جدا وشتهر اسمه وزعى آ الصيته ومعاوية بن ابي سفيان آ رضي الله عنهم في سنة - 00:02:15

من الهجرة وللا افريقية تابعا له. يعني وللا افريقية استقلالا. ما عادتش افريقيا او ما عادتش تونس. وما بعدها من البلاد تابعة عقل مصر كما كان في البداية انما صارت تابعة لدمشق مباشرة لمعاوية مباشرة لأهمية هذه المنطقة واتساع انتشار الاسلام فيها - 00:02:35

فصار والي الدولة الاموية على تونس وما بعدها في سنة خمسين من الهجرة. و ساعتها قرر بناء مدينة القيروان اول ما استلم هزه الولاية. هدف بناء القيروان آ هدف عسكري وهدف دعوي هدف عسكري ان يكون عندنا مركز - 00:02:55

في هذه المنطقة نقدر نطلق منه الى المعارك المختلفة مع الاعداء المتعددين الاعداء الرئيسيين بالنسبة المسلمين في هذا التوقيت كانوا البيزنطيين الدولة الرومانية اللي كانت بتحتل تونس فترات طويلة من الزمن وشمال افريقيا بشكل عام. وكان البربر اللي هم

سكن البلد الاصلي - 00:03:15

اللي عايشين في هزه المناطق. فدولت الاثنين كانوا بيواجهوا المسلمين في عملية الفتح وبالتالي هو عايز مركز عسكري يقدر يتحرك منه لهزه المواجهات ويكون هزا المركز مخزن للسلاح ومكان مستقر للخيول - 00:03:35

والابل وقاعدة اقدر ارجع اليها عند الهجوم على الاعداء في اماكن مختلفة. ده الهدف العسكري. في هدف دعوي مهم جدا ان انا من هزا المكان يتتحرك الدعاة الى الاماكن المختلفة يدعوني البرير سكان البلاد ويدعون آآ يعني آآ الناس اللي عايشة في هزه - 00:03:52 مناطق الى الاسلام ويعلموا اللغة العربية ويعلموا يقرأوا القرآن الكريم سنة مطهرة. ده كل هدف كان كبير جدا لبناء هزه المدينة بدأ يختار المكان كان معاوية ابن حدیج وهو آآ رضي الله عنه طبعا ده برضو مختلف عليه ازا كان صحابي ولا تابعيه ومن الكرام -

00:04:12

وكان والي الدولة الاموية على هزه المناطق قبل عقبة || ابن نافع كان اختار مكان معين في تونس يكون هو المستقر بتاع الجيش بتاعه ولما زهب عقبة ابن نافع للمكان اللي كان اختاره قبليه معاوية بن حدیج ما عجبوش هزا المكان وبدأ يدور على مكان -

00:04:32

آخر يصلح ليكون هو المدينة التي تنشأ في هذا المكان فاختار مدينة القิروان. آآ او اختار الموضع اللي فيه القิروان دلوقتي في الموقع ده كان استراتيجي وفي لمحه حضارية فكرية عسكرية يعني مهمة لعقبة ابن نافع في اختيار هذا المكان. اولا - 00:04:52 المكان ده مش على الساحل. لأن الساحل آآ خطير. الساحل السفن الدولة البيزنطية الرومانية متطرفة جدا جدا وهي تقريبا تسيطر على البحر الابيض المتوسط في هذا التوقيت من الزمن. طبعا بعد كده صارت الغلة للاساطير الاسلامية لكن في مرحلة - 00:05:12 دي احنا بنتكلم سنة خمسين من الهجرة كان الاساطيل الرومانية هي الاقوى والاشد في البحر الابيض المتوسط. وبالتالي هو مش عايز يكون المستقر بتاعه على البحر عشان ما يبقاش مهدد بشكل دائم من البيزنطيين. فاختار القิروان على بعد تقريبا مسيرة يوم من البحر. فلو جت سفن - 00:05:32

بيزنطية ونزلت جيش هيبقى عندي انا فرصة واستعداد ان انا اجهز جيشي واقدر احارب هزا الجيش الروماني وبالتالي ما تفاجئش بمعركة عسكرية خاسرة. الحاجة الثانية ان هزا الموقع برضو على مسيرة يوم من الجبال. يعني هو واحد - 00:05:52 كان متوسط بين البحر وبين الجبال. الجبال هي معقل البرير اللي موجودين اللي كانوا برضه بعضهم بيحارب المسلمين. وبالتالي برضو عنده فرصة الاستعداد الكافي لو حصل هجوم من ناحية فلما كان بيتحقق له الفايدة العسكرية الاستراتيجية في مقاومة العدوين اللي هو بيحاربهم - 00:06:12

المكان ده كان منبسط والانبساط هذا بيعطي فرصة للسلاح الرئيسي للمسلمين ان هو يكون جيد. السلاح اللي هو الفرسان خيول فالخيول في الارض المنبسطة بيسهل تدريبها وبيسهل حركتها وبالتالي فيبوفر مكان كويس جدا للخيوط. وال الحاجة اللي غير كده كمان في - 00:06:32

ان جمبيه اراضي سابقة او اراضي فيها مراعي. وبالتالي الابل بتاعة المسلمين تقدر تجد المراعي المناسب والاغنام بيتحقق يعني استقرار المسلمين في هذا المكان ما بيحتجاجوش انهم يسافروا اماكن بعيدة عشان المراعي او عشان الغذاء الطاقة. فطبعا ده شيء رائع جدا - 00:06:52

كان في الاختيار بتاعه آآ ملح حضاري آآ غريب جدا جدا لكن ثابت ثابت هذا الملح ذكره خليفة ابن خياط بسندى وذكره ابن عبدالحكم ايضا في فتوحه لمصر والمغرب وذكره ابن الاثير. آآ وحاجة حقيقة رائعة جدا. آآ - 00:07:12

ابن نافع كان مستجاب الدعوة. وكان من الانقياء الورعين الصالحين. لما قرر هذا المكان. المكان ده اللي هو اختاره ده كان زي غابة فيه اشجار كثيرة جدا وفيه حيات وعقارب وفيه حيوانات مفترسة موجودة في المكان فوق عقبة بن نافع - 00:07:32 لما خلاص هو ده المكان اللي هنا خاده لاقامة المدينة وقف عليها وقال يا اهل الوادي يا اهل الوادي ما فيش فيه بنى ادميين هو فيه حيوانات وتعابين وعقارب قال يا اهل الوادي ان شاء الله فاطعنوا. احنا هنيجي نعسکر في هذا المكان فظعنوا اترکوا هذا

فقال لي الكلام ده تلات مرات. قال الراوي فما رأينا حجرا ولا شجرا الا يخرج من تحته دابة حتى يهبطن بطن الوادي. ثم قال انزلوا بسم الله بعد اما خرجت الحيوانات من من المكان كله بعد كلمة عقبة ابن ابي من الكرامات عقبة ابن نافع رضي الله عنه وارضاوه وهذه الكرامات ثابتة - 00:08:15

عدد كبير من الصحابة والتابعين والصالحين. يقول ابن الاسير تعليقا على هذا الموضوع وكان مستجاب الدعوة. نادى ان ايتها الحيات ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ارحلوا عنانا فانا نازلون ومن وجدناه بعد ذلك قتلناه. فنظر الناس - 00:08:35
ذلك اليوم الى الدواب تحمل اولادها وتنتقل فرآه قايبيل الكلام لابن الاسير فيقول فرآه قبيل كثير من البربر فاسلموا. لما البربر لقوه بيكلم الحيات والعقارب الحيوانات بتتحرك بكلمته اسلم عدد كبير من البربر. ويقول ينقل ابن عبدالحكم قول الليث ابن سعد الكبار فقهاء مصر - 00:08:55

مصر قال الليث ابن سعد حدثني زياد ابن العجلان ان اهل افريقيا اقاموا بعد ذلك اربعين سنة. بعد كلمة عقبة ابن نافع اربعين سنة من سنة خمسين لسنة تسعين ولو التمست حية او عقرب بالف دينار ما وجدت. لو عايز تجيب حي او عقرب في هزه المنطقة بعد - 00:09:20

اقوى ابن نافع لمدة اربعين سنة ما تلاقيش كله غادر المنطقة تأمينا لها وللمسلمين بدعاه هذا الرجل الصالح عقبة ابن نافع رضي الله عنه وارضاوه. اختار اسم المدينة القيروان وده اسم منطقي جدا ومناسب. القيروان كلمة فارسية دخلت اللغة العربية. كلمة فارسية تعني - 00:09:40

القافلة او المعسكر للجيش او مكان السلاح. يعني كلمة زي معسكر الجيش كده بتعنيه كلمة القاهرة وان هو عقبة ابن نافع اول ما استقر على المكان قال هذا قيروانكم. فهذا يسمى المدينة القيروان. وده عشان يحافظ على حالة - 00:10:00
استئثار الجهادي دائمًا عند المسلمين. احنا في نقطة متقدمة جدا من الامة الاسلامية او من الدولة الاسلامية وبالتالي عندنا صراعات متوقعة كثيرة مع البيزنطيين مع البربر فلابد ان يأخذ المسلمون هذا الانطباع عن هذه المدينة فسموها مدينة القيروان. وبدأ فعلا في البناء قطع الاشجار اللي - 00:10:20

بعد ما خرجت الحيوانات والسباع والحيات وبنى اول ما بنى بعد قطع كل الاشجار اول ما بنى بنى المسجد. والمسجد بتاعه كان يعني ساعتها مش بحجم المسجد اللي موجود دلوقتي كان صغير نسبيا. وبنى جنبه دار الامارة وبعدين خد مساحة كبيرة فاضية حواليه ثم بدأ - 00:10:40

يقسم المناطق اللي حواليين المسجد الى آآ خطوط للقبائل. فيبقى فيه احياء. كل قبيلة من قبائل الجيش اللي جاية معه بتعمل اي من الاحياء وبالتالي اتسعت المدينة وكبرت واسناء عمارة المدينة كان بيرسل السرايا هنا وهناك حتى يؤمن المسلمين في بنائهم - 00:11:00

مدينة واستقرارهم فيها. واحد العملية البناء خمس سنوات من سنة خمسين لسنة خمسة وخمسين من الهجرة. ولما البربر شافوا هزا الامر وكانوا كده زي ما قلنا شافوا علاقة عقبة ابن نافع مع المسلمين سم علاقته مع الحيوانات والسباع وطريقته في الكلام معهم والانطباعات الحضارية - 00:11:20

هي الراقصة في في حياة المسلمين دخل عدد كبير منهم في الاسلام اتوا من اماكنهم البعيدة ليغسروا او يبنوا بيوتهم حول مدينة القيروان وبالتالي اتسعت المدينة وكبرت في وقت محدود. بعد اما خلص بناء المدينة عقبة بن نافع. آآ رضي الله عنه بعد خمس سنين - 00:11:40

من هذا البناء جمع اصحابه ووقف حواليين المدينة ودعا. قال اللهم املأها علما وفقها. واعمرها بالمطاعين والعاديين واجعلها عزا لدینك وذلا لمن كفر بك واعز بها الاسلام واستجاب رب العالمين سبحانه وتعالى لدعائه بيقولوا ان القيروان كانت تطلق عليها رابعة الثالث. رابعة الثالث يعني بعد آآ - 00:12:00

بمكة والمدينة والقدس تأتي القيروان ولم يبالغوا في هذا الموضوع لأن دور القيروان في نشر الاسلام كان دور رائع جدا وكبير جدا حتى في الحفاز على الوضع السياسي والعسكري المسلمين كان دور كبير وظللت هي المركز الرئيس لل المسلمين دعويا وفقهيا وعلميا وشرعيا على - 00:12:26

مدار تقريبا اربع قرون متتالية من من وقت انشائها. وطبعا حتى بعد كده فضل لها مكانة كبيرة. لكن كان بقى كثر الاسلام في المناطق وانشأت مدن اخرى وتوزع المسنون على هذه المناطق لكن لها سبق آآ لها فضل السبق في آآ نشر العملية التعليمية وطبعا علماء القиروان لا - 00:12:46

عددهم ولها فضل كبير جدا على الامة الاسلامية وعلى العالم بشكل عام. اسأل الله عز وجل ان يتقبل منا ومنكم. جزاكم الله خيرا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته - 00:13:06